﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾﴾ [الشّورى: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتصارُ للحقِّ ليس ظُلمًا يُبغضه الله

لمّا كان قولُه سبحانَه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سادًّا لبابِ الانتِصارِ؛ لِما يُشعِرُ به مِن أنَّه ظُلمٌ على كُلٍّ، قال مُؤكِّدًا نَفيًا لهذا الإشعارِ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[1]، فلمّا بَيَّنَ تَعالى في قوله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ما للنّاظِرِ في مَصالِحِ العِبادِ، المُنسَلِخِ مِن حظِّ نَفسِهِ؛ إحسانًا إلى عِبادِ اللهِ مِنَ الرُّتْبَةِ العُليا بَينَ ما لِهَذا الذّابِّ عَن نَفْسِه، القاصِدِ لِشِفاءِ صَدْرِهِ وذَهابِ غَيْظِهِ من حقٍّ، فقال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ظُلۡمِهِۦ﴾: (ظلم) أصلٌ يدلّ على وضْعِ الشَّيءِ في غير موضعِهِ تعدّيًا، فالظُّلمُ: الجَوْرُ والميل عن القصدِ، ومُجاوَزَة الحدِّ، وهو خلافُ الحقِّ[3]، فمن تعدَّى من الحقِّ إلى الباطل؛ فقد وضعَ الشَّيءَ في غيرِ موضعه، وبذلك يُسمّى ظالمًا"[4]، ومعنى ﴿ظُلۡمِهِۦ﴾ في الآية: ظلَم الظّالم له[5].

2) ﴿سَبِيلٍ﴾: السَّبيلُ في القرآن الكريم معناه الطَّريق، وهو بهذا في كلِّ القرآن، وإنَّما يختلفُ المُراد بحسب السِّياق، وهو المُمتَدُّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 337.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 337.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(4) الرّاغب، المفردات: (ظلم).
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 44.

طولًا، سُمِّيَ السَّبيلُ بذلك لامتداده[1]، "والمُرادُ بِالسَّبيلِ: موجِبُ المؤاخَذَةِ باللّائِمَةِ بَينَ القَبائِلِ، واللَّمزِ بِالعُدوانِ، والتَّبِعَةِ في الآخِرَةِ على الفَسادِ في الأرضِ بِقَتلِ المُسالمين، سُمّي بذلك سَبيلًا عَلى وجْهِ الاستِعارَةِ؛ لأنَّهُ أشبَهَ الطَّريقَ في إيصالِهِ إلى المَطلوبِ"[2].

3) ﴿وَيَبْغُونَ﴾: البَغيُ: قَصْدُ الفساد، وتجاوزُ الحقِّ إلى الباطل، والبغيُ: الظُّلمُ، وقيل: كلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المقدار الَّذي هو حَدُّ الشَّيء بغيٌ[3]، والبَغيُ في الأرضِ: الاعتداءُ عَلى ما وضَعَهُ اللَّهُ في الأرضِ مِنَ الحَقِّ الشّامِلِ لِمَنافِعِ الأرضِ الَّتي خُلِقَتْ لِلنّاسِ[4]، ومعنى ﴿وَيَبْغُونَ﴾: يتجاوزون في أرضِ اللّه الحَدَّ الذي أباحَ لهم ربُّهم، إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيُفسدون فيها بغيرِ الحقِّ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دفْعُ الظُّلمِ والبغي أمرٌ محمودٌ لا عُقوبةَ عليه ولا لَومَ ولا حَرَجَ

أكَّدَ سبحانه ما سبَقَ أن بيَّنَهُ، مِن أنَّ دَفْعَ بَغْيِ الباغي أمرٌ محمودٌ، فقال تعالى: مَنِ انتصَرَ مِن ظالمٍ له بعْدَ تَحقُّقِ وُقوعِ ظُلمِه، فأولئك المُنتَصِرونَ لا عُقوبةَ عليهم، ولا لَومَ ولا حَرَجَ؛ إذا أخَذوا حَقَّهم دونَ زيادةٍ، إنَّما العُقوبةُ والإثمُ على الَّذين يَعتَدونَ على النّاسِ في دِمائِهم أو أموالِهم، أو أعراضِهم أو غيرِ ذلك مِن حُقوقِهم، ويَتجاوَزونَ الحَدَّ بالفَسادِ في الأرضِ بالكُفرِ أو المعاصي، أو التَّكبُّرِ على النّاسِ، وطَلَبِ الاستِعلاءِ عليهم بغيرِ حَقٍّ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ عطْفِ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾:

يجوزُ أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم

في تعدُّدِ المعطوفِ عليه ثراءٌ للمعنى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سبل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 119.
(3) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بغي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 121.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 550.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 549، و550، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 760.

مِّن سَبِيلٍ﴾ عطفًا على جُملة: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾، فيكونَ عُذرًا للَّذين لم يَعْفوا، ومِن ثَمَّ تكون الجُملةُ مُرتبطةً بغرَضِ انتصارِ المسلِم على ظالمِه مِن المسلمينَ؛ تَكملةً لجُملة: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ويَجوزُ أنَّه عطْفٌ على جُملة: ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ وما بيْنَ ذلك اعتراضٌ، ومِنْ ثَمَّ تكون الجُملةُ مُرتبطةً بغرَضِ انتصارِ المؤمنينَ مِن بَغْيِ المشركينَ عليهم، وهو الانتصارُ بالدِّفاعِ، سَواءٌ كان دِفاعَ جَماعاتٍ، وهو الحربُ، فيَكونُ هذا تَمْهيدًا للإذنِ بالقِتالِ الَّذي شُرِع مِن بعْدُ، أم دِفاعَ الآحادِ؛ إن تَمكَّنوا منه؛ فقد صار المسلمونَ بمكَّةَ يَومئذٍ ذَوي قوَّةٍ يَستطيعونَ بها الدَّفْعَ عن أنفُسِهم آحادًا، كما قِيل في عزِّ الإسلامِ بإسلامِ عُمَرَ بنِ الخطّابِ[1]، وفي تعدُّد المعطوف عليه ثراءٌ للمعنى ما بعدَه ثراء.

معنى اللّام ودلالتُها في: ﴿وَلَمَنِ﴾:

تـأكـيـدُ حـقِّ المـظـلـومـين في الانـتـصـارِ لأنفسهم دونَ زيادةٍ

اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ لامُ الابتداء جيء بها للتَّأكيد، على اعتبار (مَن) اسم موصول بمعنى (الَّذي)، أو موطِّئةٌ لقَسَم محذوف، على اعتبار (مَن) شرطيَّة، وجوابُ القَسَم قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[2]، وعلى المعنيين تُفيدُ تأكيدَ حقِّ المظلومين في الانتصارِ لأنفسهم ممَّن بغى عليهم، وظلمهم دونَ زيادةٍ.

معنى (مَن) ودلالتُها في: ﴿وَلَمَنِ﴾:

في الشَّرطيَّة أو الموصوليَّة عمومٌ لكلِّ مَن انتصرَ بعْدَ ظُلْمِهِ

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ إمّا شرطيَّةٌ لمجيء الجملة بعدَها مقترنة بالفاء[3]، أو موصولةٌ بمعنى (الذي) ضُمِّنَتْ معنى الشَّرط، والمعنى: وللَّذي انتصرَ بعد ظلمه[4]، والتَّعريف بها على الاحتمالين يفيدُ العمومَ لكلِّ مَن انتصرَ بعْدَ ظُلْمِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 118.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 345، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 118.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 44.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 345، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 337، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 118.

دلالةُ التَّعبير بـ: ﴿ٱنتَصَرَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

التَّحرِّي في معاقبةِ الظّالمِ وردعِه نصرٌ للمظلومينَ وللمجتمعِ

سمّى البيانُ القرآنيُّ المعاقبةَ للظّالمِ انتصارًا، ولم يُسَمِّهِ عفوًا؛ لأنَّ معاقبةَ الظّالمِ والمتكبِّرِ والمُفسدِ الَّذي يخاف منه النّاسُ وردْعَهُ عن ظُلْمِه، وعن التَّوغُّلِ في البغي على أمثالِ المظلوم يُعدُّ نَصْرًا، وجاءتِ الصّيغةُ على وزنِ (افتعل)؛ لتدلَّ على شدَّةِ الطَّلبِ والمحاولة والتَّحرّي، والاجتهادِ في طلب الجزاءِ العادل، وهذا مبالغةٌ في الإقرار للمظلومِ بالانتصار لحقِّه.

سرُّ التَّقييد بالظَّرفيَّة ﴿بَعْدَ﴾:

الانتصارُ مِن الظّالمِ يكون بعْدَ تحقُّقِ وقوعِ ظُلْمِهِ

أفادَ التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿بَعْدَ﴾ في قوله: ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ التَّنْبيهَ على أنَّ هذا الانتصارَ لا يكون إلّا بَعدَ أن تحقَّقَ أنَّهم ظُلموا[1]، أي: لا بدَّ مِن إصابةِ البغي والظُّلم ووقوعِه، وأمّا إرادةُ البغي على الغيرِ، وإرادةُ ظُلْمِه مِن غير أن يقعَ منه شيءٌ، فهذا لا يُجازَى بمثلِه، وإنَّما يُؤدَّبُ تأديبًا يَردعُهُ عن قولٍ أو فعلٍ صدرَ منه[2].

غرضُ الإضافةِ في: ﴿ظُلْمِهِۦ﴾:

الانتصارُ حقٌّ للمظلوم

الهاءُ في قوله: ﴿ظُلْمِهِۦ﴾ مضافةٌ إلى المصْدر، والإضافةُ من إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِه، أي: بعد كونه مظلومًا[3]، أو بعدَ ظُلْمِ الظّالمِ إيّاه، وتؤيّد ذلك قراءة من قرأ: (مِنْ بعدِ ما ظُلِم) بالبناء للمجهول[4]، ولا يَصِحُّ أن يَكونَ مضافًا إلى فاعِلِه؛ لأنَّه لو كان كذلك؛ لكانَ المعنى: (ولَمَنِ انتصرَ بعدَ أن يَظلمَ النّاسَ)، والظّالمُ ليس معتدًى عليه، حتَّى ينتصرَ لنفْسِه[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 118.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 760.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 118.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 44، وهي قراءة شاذة.
(5) ابن عثيمين، تفسير سورة الشّورى، ص: 304.

معنى الفاء ودلالتُها في: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إمّا للتَّوكيد[1]؛ لِما للموصول من شِبْهِ الشَّرط[2]، إنْ كانت (مَنْ) موصولة، أو هي رابطةٌ لجواب الشَّرط إنْ كانت (مَنْ) شرطيَّة[3]؛ لتدلَّ على سببيَّة ما قبلها، وهو الانتصار للنَّفس ممَّن ظلمها - فيما بعدَها - وهو نفيُ العقاب عنهم والعتاب، مع ربط الشَّرط بالجزاء.

الفاءُ بين توكيدِ المعنى وربطِ الشَّرط بالجزاء

الغرضُ من التَّعبير باسم الإشارة (أولَئِكَ) في صدر الجملة:

جيءَ باسمِ الإشارةِ (أولَئِكَ) في صَدْرِ جَوابِ الشَّرْطِ؛ لِتَمْييزِ الفريقِ المذكورِ في قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أتَمَّ تَمْييزٍ، وللتَّنبيهِ على أنَّ سَببَ عَدمِ مُؤاخَذتِهم هو أنَّهم انتَصَروا بعد أن ظُلِموا، ولم يَبدؤوا النّاسَ بالبَغْيِ، ومن كان كذلك؛ فلا سبيلَ عليه[4].

اهتمامٌ بالمنتَصرين لحقوقهم، وتنبيهٌ على عَدمِ مُؤاخَذتِهم

دلالةُ النَّفي بـ ﴿مَا﴾:

آثرَ البيانُ الحكيمُ نفيَ مؤاخذةِ مَنِ انتصروا لأنفسهم ممَّن ظلمهم، وأخَذوا حَقَّهم دونَ زيادةٍ بـ﴿مَا﴾ دون غيرها من أدواتِ النَّفي؛ تأكيدًا للنَّفي، وذلك لقوَّةِ النَّفي بها، فهي تقعُ جوابًا للقَسَم، وكثيرًا ما يقترنُ منفيُّها بـ﴿مِّن﴾ الاستغراقيَّة المُؤكِّدة، كما هو في هذه الآية، بخلاف بقيَّة الأدوات.

تأكيدُ نفي مؤاخذةِ من أخَذوا حَقَّهم دونَ زيادةٍ

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِم﴾:

قدَّم البيانُ الإلهيُّ الجارَّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾؛ اهتمامًا بالمؤمنين الَّذين انتصروا لأنفسهم ممَّن ظلمهم، وتأكيدًا على أنَّه ليس عليهم من جُناح، وهم يزاولون حقَّهم المشروعَ دونَ اعتداءٍ، ويقصدون شفاءَ صدرهم وذهابَ غيظهم.

اهتمامٌ للآخِذ بحقِّه، والقاصدِ لشفاء صدره، وذهابِ غيظِه

(1) محمّد الهلال، التّفسير النّريّ: 25/ 49.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 338.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 44، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 119.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 119.

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتُها في: ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾:

﴿مِّن﴾ الدّاخلةُ على نكرة في سياقِ نفي، حرفُ صلةٍ تُفيد التَّوكيد، والدَّلالة على العموم في استقصاءِ جنسِ السَّبيل مع توكيد النَّفي[1]، أي: أنّ اللّه سبحانه قد رفَعَ كلَّ حرَجٍ وضِيقٍ، ورفعَ أدنى شيء من الإثم على مَن لم يَعفُ، وانتصرَ على مَن ظَلَمَهُ بطريقٍ مُؤكَّد[2].

توكيدُ رفعِ كلِّ حَرَجٍ وضِيقٍ عمّن لم يَعفُ، وانتصرَ على من ظَلَمَهُ

سرُّ التَّعبير بلفظ: ﴿سَبِيلٍ﴾، وبلاغةُ المجاز فيه:

آثرَ التَّعبيرُ القرآنيُّ استعمالَ لفظِ السَّبيل في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ دون لفظ مؤاخذة؛ لكونه أرادَ من لفظ السَّبيل المعنى المجازيَّ، والمجازُ أبلغُ؛ إذ أصْلُ السَّبيلِ الطَّريقُ الَّذي فيه سهولة، وجمعُه: سُبُلٌ[3]، والمرادُ بالسَّبيلِ هنا موجِبُ المُؤاخَذةِ باللّائمة[4]، وللإشارة إلى أنَّه لا مؤاخذةَ مهما كانت قليلةً، ولو قيل: (ما عليهم مؤاخذة)؛ لانحصر المعنى في نفي العقاب، فالتَّعبير بالسَّبيل أشملُ، وهو: أنَّه لا طريقَ لأحدٍ أن يلومهم، أو يحاسبَهم، أو يطالبهم بأيِّ حقٍّ، حتّى لو بدا فعلُهم مشابهًا للجُرم ظاهريًّا، وهذا الشُّمولُ في المعنى يدلُّ على مراد الشّارع في تمكين المظلوم من الانتصار لحقِّه.

مبالغةٌ في تمكينِ المظلوم من الانتصارِ لحقِّه

موقعُ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ...﴾، ودلالتُه:

جاء قولُه: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ استِئنافًا بَيانيًّا لِما قبله، فإنَّه لَمّا جَرَى الكلامُ السّابقُ كلُّه على الإذنِ للَّذين بُغِيَ عليهم أن يَنتصِروا ممَّن بَغَوا عليهم، ثمَّ عُقِّبَ بأنَّ أولئك ما عليهم من سَبيلٍ؛ كان ذلك مَثارَ سُؤالِ سائلٍ عن الجانبِ الَّذي يَقَعُ عليه السَّبيلُ المنفيُّ عن هؤلاء[5].

استئنافٌ يبيِّنُ المستحقِّين للمُؤاخذة والعقاب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 338.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 78.
(3) الرّاغب، المفردات: (سبل).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 119.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 120.

الغرضُ من التَّعبير بأسلوب القَصْرِ بـ: ﴿إِنَّمَا﴾:

القَصرُ المُفادُ بحَرْفِ ﴿إِنَّمَا﴾ تأكيدٌ لِمَضمونِ جُملةِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾؛ لأنَّه كان يَكفي لإفادةِ مَعنى القصْرِ أن يُقابَلَ نفي السَّبيل عن الَّذين انتَصَروا بعدَ ظُلْمِهم بإثباتِ أنَّ السَّبيلَ على الظّالمينَ؛ لأنَّ إثباتَ الشَّيءِ لِأحَدٍ ونَفْيَه عمَّن سِواه يُفيدُ معنى القصْرِ، وهو الأصلُ في إفادةِ القَصْرِ بطَريقِ المساواةِ أو الإطنابِ، فلمّا أوردَتْ أداةُ القَصْرِ هنا، وهي ﴿إِنَّمَا﴾؛ حصَلَ نفْيُ السَّبيلِ عن غَيرِهم مرَّةً أُخرى بمُفادِ القَصْرِ، فتَأكَّدَ حُصولُه الأوَّلُ الَّذي حصَلَ بالنَّفي[1].

مبالغةٌ في تأكيدِ العُقوبةِ والإثمِ على الَّذين يَعتَدونَ على النّاسِ

معنى اللّام ودلالتُها في لفظ: ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾ باللّام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ للعهدِ، والعهدُ ذِكريٌّ؛ لسَبْقِ ذِكْرِ السَّبيل منكَّرًا في الآية السّابقة، وهي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾، ومِن ثَمَّ فإنَّ المرادَ بـ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾ في هذه الآية عَينُ المرادِ به في الآية السّابقة، بقَرينةِ أنَّه أُعيدَ مُعرَّفًا باللّام بعدَ أن ذُكِر مُنكَّرًا؛ فإنَّ إعادةَ اللَّفظِ النَّكرةِ مُعرَّفًا بلامِ التَّعريفِ، يُفيدُ أنَّ المرادَ به ما ذُكِر أوَّلًا، وهذا السَّبيلُ هو: الجزاءُ والتَّبِعةُ في الدُّنيا والآخِرةِ[2].

إعـادةُ لفظِ (سَبيلٍ) مُعرَّفًا بلامِ التَّعريفِ يُفيدُ أنَّه عينُ ما ذُكِر

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

عبَّر البيانُ الحكيمُ بحرفِ الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾؛ للإشارة إلى تمكُّن العقوبةِ والإثمِ من الَّذين يَعتَدونَ على النّاسِ في دِمائِهم أو أموالِهم أو أعراضِهم، وفي الاستعلاء كذلك تَهكُّمٌ بمَن كانوا يتكبَّرون على النّاس بغيرِ حَقٍّ، ويستعلون عليهم، ومعاملتهم بالمثل باستعلاء العقوبة عليهم.

تهكُّمٌ بمَن كانوا يتكبَّرون على النّاسِ بغيرِ حَقٍّ ويستعلونَ عليهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 120.

الغرضُ من التَّعبير بالموصول وصلتِه: ﴿ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾:

المؤاخذةُ تشملُ كـلَّ ظـالـمٍ لا الـرّاسـخـين في الظُّلم فقط

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالاسمِ الموصولِ في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾ دونَ الاسم الظّاهر، فلم يقل: (على الظّالمين)؛ للإيماءِ إلى وجهِ استحقاقهم هذا الوعيد، وهو ظلمهم للنّاس وبغيهم واستمرارهم على ذلك الظُّلم والبغي، ولقصدِ الإبهام الَّذي من أسراره التَّنبيهُ على التَّعميم، فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من ألفاظِ العموم؛ لتشملَ المؤاخذةُ كلَّ ظالم، لا الرّاسخين في الظُّلم فقط، فبمَقدارِ ظُلمِ الظّالم يكونُ جَزاؤُه، ويَدخُلُ ابتداءً فيه الظّالمونَ المُتحدَّثُ عنهم، وهم مُشركو أهلِ مكَّةَ، والنّاسُ المتحدَّثُ عنهم، وهم المسلِمونَ يَومئذٍ[1]، كما أنَّ في التَّعبير باسم الموصول مجموعًا إعلامًا بكثرة المفسدين؛ تجرئةً على الانتصار منهم، فإنَّهم وإن كانوا كثيرًا؛ فإنَّ اللّهَ خاذلهم[2].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَظۡلِمُونَ﴾:

استـمـرارُ الـكـافـريـن على الـظُّـلـم يُـعَـلِّـلُ اخـتـصـاصَـهـم بالعذابِ الأليم

في مجيءِ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾ بصيغةِ المضارعِ أمارةٌ على استمرارِ الكافرين على الظُّلم بكافَّة أشكاله وتكرارهم إيّاه، وهذا يُعلِّلُ استحقاقَهم للعذابِ الأليم، واختصاصهم بنوعِ هذا العذاب، وفيه إشارةٌ كذلك إلى أنَّ السَّبيلَ والمؤاخذة تكون على مَن يتكرَّر منهم الظُّلم، بحيثُ صار ظلمُهم دأبهم الَّذي لازمهم حتّى الممات، أمّا الَّذين ظلموا، ثمَّ تابوا، فسيدخلهم اللّهُ في رحمته.

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

اللّام في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ للعهد الذِّهنيِّ؛ لأنَّ الذِّهن ينصرفُ عند سماع لفظ النّاس معرَّفًا بـ (الـ) إلى مَن وقعَ عليهم ظلم هؤلاء، وليس كلَّ النّاس.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 120.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 338.

دلالةُ عطْفِ ﴿وَيَبْغُونَ﴾ على ﴿يَظْلِمُونَ﴾:

البَغيُ من أشدِّ أنواعِ الظُّلمِ

العطْفُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِن بابِ عطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ إذا اعتبرنا البغيَ نوعًا من أنواع الظُّلم، خصَّهُ بالذِّكرِ؛ تنبيهًا على شدَّتِه وسوءِ حالِ صاحبِه[1].

سرُّ التَّعبير بـ: ﴿وَيَبْغُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

مجاوزةُ الكافرين الحدَّ في فسادٍ شاملٍ ومتطوِّرٍ ومتجدِّدٍ

التَّعبيرُ بالبغي دونَ غيره؛ للدَّلالةِ على شدَّةِ فسادهم وعلى ضلالهم وخيبتهم؛ لأنَّ البغيَ يدلُّ على التَّرقّي في الفساد والانتشار، من قولهم: بغى الجرحُ؛ إذا ترقّى، وترامى في الفساد[2]، وأمّا التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعةِ؛ فللدَّلالةِ على تجدُّد واستمرارِ هذا البغي الشّامل المنتشر المُترقّي في الفساد، بحيثُ صار بغيُهم دأبَهم الَّذي لازمهم حتّى الممات، وللإشارةِ إلى أنَّ المؤاخذة تُكرَّرُ لتكرُّرِ البغي منهم.

سرُّ تقييد البغي بقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾:

تأكيدٌ لمذمَّة البغي، واحترازٌ عن البغي بحقٍّ

قولُه: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿وَيَبْغُونَ﴾، وهو لكشفِ حالةِ البَغْيِ؛ إمّا لإفادةِ تأكيد مَذمَّتِه؛ إذ لا يكونُ البغيُ إلّا بغيرِ الحقِّ؛ فإنَّ مُسمَّى البغْيِ هو الاعتداءُ على الحقِّ، وأمّا الاعتداءُ على المُبطِلِ لأجْلِ باطلِه؛ فلا يُسمَّى بَغْيًا، ويُسمَّى اعتداءً، قال تعالَى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194][3]، أو لكونه احترازًا به عن البغي بحقٍّ، وهذا على اعتبارِ البغي هنا وفقَ أحد المعنيين اللُّغويّين، وهو طلبُ الشَّيء، فحينَئِذٍ ينقسمُ إلى طلبٍ بحقٍّ، وطلبٍ بغير حقٍّ، وعبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ معرَّفًا بـ (الـ)، ولم يقل: (بغير حقٍّ)؛ للدَّلالة على الحقِّ الكامل الَّذي لا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 345.

(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/ 174.

(3) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 17/ 255، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 121.

باطلَ فيه بوجهٍ؛ لأنَّ الفعلَ قد يكون بغيًا وإنْ كان مصحوبًا بحقٍّ، كالانتصار المقترن بالتَّعدّي فيه[1].

دلالةُ التَّعبير بالظَّرفيّة ﴿فِي﴾:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بحرف الظَّرفيَّة ﴿فِي﴾ دون (على)؛ للدَّلالة على تغلغلِ بغي الظّالمين في الأرض وانتشاره وتمكُّنه فيها.

التَّعبيرُ بالظَّرفيَّة إيذانٌ بتغلغلِ وانتشارِ بغي الظّالمين

سرُّ التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، ومعنى اللّام فيها:

قيَّدَ البيانُ القرآنيُّ البغيَ بلفظِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دون الدُّنيا؛ لأنَّ النّاسَ مُستخلَفون في الأرض، ومكلَّفون بإعمارهما لا البغي فيها، "بما يفسدها بعد إصلاحها بتهيئتها للصَّلاح طبعًا وفعلًا وعلمًا وعملًا"[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وبهذا تظهر بشاعةُ نقْضِهم للأمانة، وهذا المعنى لم يكن ليظهر؛ لو عبَّر بالدُّنيا، وخاصَّةً أنَّ السّياقَ يتحدَّث عمّا تُعْمَر به الأرضُ من طاعةِ الله والاستجابةِ لأوامره فيما يتعلَّق بحقوق الله وحقوق العباد، ولام التَّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ إمّا عهديَّة، والمقصود: أرضُ مَكَّةَ، أو جنسيَّة استغراقيَّة، تشملُ جميع الكُرَةِ الأرضيَّةِ، وهو الأليقُ بِعُمومِ الآيةِ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 205]، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 85]، فكلُّ فَسادٍ وظُلْمٍ يَقَعُ في جُزْءٍ مِنَ الأرضِ؛ فهوَ بَغْيٌ يستحقُّ العقاب[3].

النّاسُ مستخلَفون في الأرضِ، مكلَّفون بإعمارهما لا البغيِ فيها

سرُّ فصلِ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

فصَلَ البيانُ الحكيمُ قولَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ إمّا لِما بينهما من كمال اتِّصال بكون جملة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 339.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 338.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 121.

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ بيانًا لجُملة: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ﴾؛ إنْ أُريدَ بـ(السَّبيلِ) في قولِه: ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ سَبيلُ العِقابِ في الآخِرةِ، أو بدَلُ اشتمالٍ منها؛ إن أُريدَ بالسَّبيلِ هنالك ما يَشمَلُ المَلامَ في الدُّنيا، أي: السَّبيلُ الَّذي عليهم هو أنَّ لهم عَذابًا أليمًا جَزاءَ ظُلمِهم وبَغْيِهم[1]، أو أنَّ جملة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جاءتِ استئنافًا بيانيًّا؛ لِما بين الجملتين من شِبهِ كمالِ اتِّصال، فكأنَّه لَمّا أثبتَ عليهم بهذا الكلام السَّبيلَ؛ كان السّامع جديرًا بأن يسأل عنه، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

بيانُ ماهيَّةِ السَّبيلِ الَّذي أثبتَه اللهُ على الظّالمين الباغين في الأرض

الغرضُ من التَّعبير باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

بعد التَّعريف بالموصوليَّة للظّالمين والبغاة، يأتي تعريفُهم باسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّهم أحْرياءُ بما يُذكَرُ بعْدَ اسمِ الإشارةِ؛ لأجْلِ ما ذُكِر قبلَه، من الظُّلمِ والبغي بغيرِ الحقِّ، مع تَمْييزِهم أكمَلَ تَمْييزٍ بهذا الوعيدِ[3]، وفي الإشارةِ إليهم بما يُشار به للجمع البعيد ذَمٌّ لصنيعهم، وإبعادٌ لهم عن رحمةِ اللّه، فهُم البغضاءُ البُعداء من اللّه[4].

الموصوفونَ بالظُّلمِ والبغي أحْرياءُ بالعذابِ الأليم وبغضاءُ وبُعداء من الله

الغرضُ من تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

قدَّم البيانُ القرآنيُّ متعلَّقَ الخبر ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على الاختصاص، وهو قَصْرُ صفةٍ على موصوفٍ قَصْرًا ادِّعائيًّا، أي: اختصاص هؤلاء الكافرين بالعذابِ الأليم واستحقاقهم له، فلا يراهُ غيرُهُم من أهلِ المعاصي؛ لظلمهمُ النّاسَ وبغيهم في الأرض، وفي هذا إيماءٌ بشِدَّةِ ألمه، فضلًا عمّا تحمله الجملةُ الاسميَّةُ من دلالةٍ على ثباتِ العذابِ ودوامِه.

اختصاصُ الكافرين بالعذابِ الأليم واستحقاقُهم له

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 121.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 339.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 121.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 339.

سرُّ وصْفِ العذابِ بالأليم في: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

عـذابٌ يُؤْلِمُ من وقَعَ عليه، فقد بلـغَ الـغايـةَ في الإيلام

وصَفَ البيانُ الإلهيُّ العذابَ بصيغةِ المبالغة ﴿أَلِيمٌ﴾، وهي بمعنى اسم الفاعل، أي: عذابٌ مؤلِمٌ موجِعٌ للقلوبِ والأبدانِ، يُؤْلِمُ من يقع عليهم، بما آثَموا من ظلموه من عباد الله، أو بمعنى اسم المفعول، أي: عذابٌ مؤلَمٌ بما يدلُّ على بلوغ العذاب الغايةَ في الإيلام.

الغرضُ من التَّنكير في: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

عـذابٌ أليـمٌ لا يُـقْـدَر قَـدْرُه في الشِّدَّةِ والإيلامِ

تنكيرُ لفظَي العذابِ والأليم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تهويلٌ له، فهو لا يَقدِرُ قدرَهُ وقدرَ أَلمِه، ولا يَعلمُ كُنْهَهُ إلّا الله، بما يدلُّ على كمالِ فظاعةِ حالِهم ما لا يَخْفى؛ بسببِ أوصافِهم القبيحةِ من الظُّلمِ والبغيِ بغيرِ الحقِّ، وردعٌ لهم عنها، وفي هذا من التَّهديد والإنذار ما فيه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"